@ 315 @ سورة الأنفال ^ (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال والرسول فاتقوا ا وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا ا ورسوله إن كنتم مؤمنين * إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أول ئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) ^ الأنفال ، هي : الغنائم ، التي ينفلها ا لهذه الأمة ، من أموال الكفار . وكانت هذه الآيات في هذه السورة ، قد نزلت في قصة (بدر) أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين ، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع ، فسألوا رسول ا صلى ا عليه وسلم عنها ، فأنزل ا ! 2 2 ! كيف تقسم وعلى من تقسم ؟ . ! 2 2 ! لهم ! 2 2 ! يضعانها حيث شاءا ، فلا اعتراض لكم على حكم ا ورسوله ، بل عليكم إذا حكم ا ورسوله ، أن ترضوا بحكمهما ، وتسلموا الأمر لهما ، وذلك داخل في قوله : ! 2 2 ! بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . 2 ! 2 ! أي : أصلحوا ما بينكم من التشاحن ، والتقاطع ، والتدابر ، بالتوادد ، والتحاب ، والتواصل . فبذلك تجتمع كلمتكم ، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم ، والتشاجر والتنازع . ويدخل في إصلاح ذات البين ، تحسين الخلق لهم ، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء ، والتدابر . والأمر الجامع لذلك كله قوله : ! 2 2 ! ، فإن الإيمان يدعو إلى طاعة ا ورسوله ، كما أن من لم يطع ا ورسوله ، فليس بمؤمن . ومن نقصت طاعته ورسوله ، فذلك لنقص إيمانه . ولما كان الإيمان قسمين : إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء ، والفوز التام ، وإيمانا دون ذلك ، ذكر الإيمان الكامل فقال : ! 2 2 ! الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان . ! 2 2 ! أي : خافت ورهبت ، فأوجبت لهم خشية ا تعالى ، الانكفاف عن المحارم ، فإن خوف ا تعالى ، أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب . ! 2 2 ! ، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلوب ، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى ، كانوا يجهلونه ، ويتذكرون ما كانوا نسوه ، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير ، واشتياقا إلى كرامة ربهم ، أو وجلا من العقوبات ، وازدجارا عن المعاصي ، وكل هذا مما يزداد به الإيمان . ! 2 2 ! وحده ، لا شريك له ! 2 2 ! أي : يعتمدون في قلوبهم على ربهم ، في جلب مصالحهم ، ودفع مضارهم الدينية ، والدنيوية ، ويثقون بأن ا تعالى سيفعل ذلك . والتوكل هو الحامل للأعمال كلها ، فلا توجد ولا تكمل إلا به . ! 2 2 ! من فرائض ، ونوافل ، بأعمالها الظاهرة والباطنة ، كحضور القلب فيها ، الذي هو روح الصلاة ولبها . !

2 2 ! النفقات الواجبة ، كالزكوات ، والكفارات ، والنفقة على الزوجات والأقارب ، وما ملكت أيمانهم ، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير . ! 2 2 ! الذين اتصفوا بتلك الصفات ! 2 2 ! لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان ، بين الأعمال الباطنة ، والأعمال الظاهرة ، بين العلم والعمل ، بين أداء حقوق ا ، وحقوق عباده . وقدم تعالى أعمال القلوب ، لأنها أصل لأعمال الجوارح ، وأفضل منها ، وفيها دليل على أن الإيمان ، يزيد وينقص ، فيزيد بفعل الطاعة ، وينقص بضدها . وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه ، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب ا تعالى ، والتأمل لمعانيه . ثم ذكر ثواب المؤمنين حقا فقال : 2 ! 2 ! أي : عالية بحسب علو أعمالهم ، ! 2 2 ! لذنوبهم ! 2 2 ! وهو ما أعد ا لهم في دار كرامته ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ودل هذا ، على أن من لم يصل إلى درجتهم في الإيمان وإن دخل الجنة فلن ينال ما نالوا ، من كرامة ا التامة . ^ (كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون * يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون * وإذ يعدكم ا إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد ا أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ^ قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات التي على المؤمنين أن يقوموا بها ، لأن من قام